

إشكالية موضوعاتية حول "الجبل في البلدان المغاربية"

تقترح مجلة إنسانيات عددا من سلسلتها يتناول موضوع الجبل في البلدان المغاربية و تحولاته الراهنة. ينبغي أن يضيف هذا العدد نظرة جديدة حول هذا الفضاء، رجالته و إطار عيشه البارز. إن أزمة المجتمع والاقتصاد الجزائري، بل و حتى المغربي جعلها فضاء غير جذاب بالنسبة لكثير من الشباب المتخرج، المولود في المدينة وبالنسبة لموظفين تم نقلهم في سياق العمل. بالنسبة "للريفيين الجدد" تبدو الإقامة في الفضاء الجبلي و في المناطق ذات الموارد المحدودة، حياة صعبة و مرفوقة بالهجرة، فهي نشاط يهدف إلى التوفيق بين الجبل و أولاده في وقت أخفق في الاحتفاظ بهم.

ومع ذلك، إذا كانت الجبال جزء لا يتجزأ من الأيكومان(Oekoumène)، فإن استغلالها ليس فعلا منتشرا. تعتبر السهول مناطق مفضلة للسكن في العديد من البلدان، ولكن ليس الأمر كذلك في البلدان المغاربية، حيث تعد الكثافة السكانية في الجبال قديمة، وفي كثير من الحالات، تكون الكثافة محليا أعلى من السهل المجاور بحيث عكست التعدادات السكانية هذا الواقع. وهكذا، رسم التعداد السكاني للجزائر سنة 1896 خريطة حيث تركزت الكثافة العالية في المناطق الجبلية. وحاليا، يسكن أكثر من 20 ٪ من إجمالي عدد سكان الجزائر في الجبال، و يعتبر الريف المغربي أيضا منطقة ذات كثافة سكانية كبيرة، و هذا بالرغم من وجود ظروف اقتصادية، اجتماعية و سياسية سيئة.

تكشف قراءة دقيقة حول التمرکز السكاني بالجبل، عن استغلال متميز للفضاء. مهما كانت مرتفعة في منطقة القبائل، أو في بلدان ريفية، أو حتى في منطقة الكروميري، ضعيفة في منطقة جبال الأوراس أو في جبال الأطلس، و متوسطة في كثير من مناطق التل، إلا أنها تعكس أنماط العيش لإبراز الزراعة التقليدية و أشكال الامتلاك الفردي للعقارات التي مارسها المجتمعات المحلية خلال تاريخ المغرب العربي.

ظهر الجبل باعتباره ميدانا للاستكشاف العلمي، خلال عصر النهضة، زمن الاكتشافات العلمية، مما جعله موضوعا جديرا بالاهتمام من طرف العلماء، إذ تشكل خصوصياته الطبيعية، موارده و ثرواته مجموعة من الحجج تصب في صالحه بوصفه موضوع البحث. و يعتبر مهندسو المدرسة الفرنسية للجسور و الطرق أول من رسم معالم البناء العلمي الحديث لموضوع الجبل.

وإذا كانت أوروبا قد استطاعت إنتاج حجم كبير من المعارف حول هذا الموضوع و بناء معرفة علمية كبيرة، فإن الإنتاج العلمي في الجزائر و في البلدان المغاربية عموما لا يزال متواضعا نسبيا. ومع ذلك، فإن الجبل هو فضاء يتجمع فيه الناس كما يدعو مولود معمري تاموسني.

إن عدم معرفة فضاء حامل لتاريخ و لمجتمعات قديمة أثرت في مشاهد الأقاليم المغاربية، يظهر جليا من خلال مختلف السياسات المتعلقة بالتهيئة الإقليمية. إن أول قانون جزائري تطرق إلى هذه النقطة يعود إلى سنة 1987، إذ يُعرّف بوصفه فضاءً معيّنًا، ولكن بدون تحديد أي أدوات تهيئة مناسبة، نفس الشيء بالنسبة لأدوات القراءة

و القياس، حيث أظهرت محدوديتها عندما يتعلق الأمر بتقديم تقرير حول حالة هذا الفضاء (انتشار السكان، مسكن ريفي، أنظمة الثقافة، نزوح، تاريخ محلي، ثقافة، تمثيلات اجتماعية، و فن...).

هذه الدعوة للنشر موجهة لجميع التخصصات في العلوم الاجتماعية من خلال هذا الموضوع المشترك: التاريخ، الجغرافيا، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، الاقتصاد، علم النفس، الأدب والسياسة... باعتبار أن الجبال المغربية هي تجمعات قديمة للسكان، فإنها تحافظ على النباتات المعمرة (الامتلاك الفردي للأرض، فن الزراعة، روابط التضامن، ممارسات دينية، سلوكيات ثقافية، الشفوية... الخ)، و عموما، يعيش جميع قاطنو جبال المنطقة المغربية اليوم حياة أخرى، ناتجة عن تحولات اقتصادية، اجتماعية، وعلاقاتية مفتوحة على الهضاب والمدن، بل وحتى على العالم.

و على المؤلفين المهتمين بالأمر تقديم النص في لغة عملهم (العربية والفرنسية) مصحوب بملخص، كلمات مفتاحية و سيرة ذاتية موجزة في أقرب الآجال و إرساله إلى مجلة إنسانيات قبل 02 نوفمبر 2008، في عناوين البريد الإلكتروني الموجودة في الأسفل. و على كل مؤلف الإلتزام بشروط النشر الخاصة بالمجلة التي تحدد حجم النصوص و عدد العلامات المستعملة و كذا مقاييس الكتابة في صياغة المقالات. (أنظر شروط النشر).

نادية مسّاسي و حسني بوكرزازة

البريد الإلكتروني : insaniyat@crasc.org و insaniyat@crasc.dz